العلاقات الدلالية بين المفردات

" الترادف- التّضاد- المشترك اللفظي "

تمهيد:

تعددت علاقة الكلمات في اللغة العربية ومنها العلاقات الصوتية والحرفية والمعنوية الدلالية وغيرها وعرف العلماء منذ القديم إحدى هذه العلاقات وهي "الترادف" الذي يعدّ علاقة دلالية، وقد اختلفت الآراء حول هذه الظاهرة بين "الإنكار" و "التأييد"، حيث كانت هذه الظاهرة موجودة في اللغة العربية واللغات الأخرى. كما توجد ظواهر أخرى تحدّد طبيعة العلاقة بين الكلمات فكما اهتم العلماء العرب بظاهرة الترادف، اعتنوا أيضاً بظاهرتي "التضاد" و"المشترك اللفظي".

تم دراسة المصطلحات التالية: (الترادف، المشترك اللفظي، التضاد) في إطار نظري واحد يطلق عليه علماء اللسانيات (نظرية العلاقات الدلالية)، وهي نظرية حديثة نسبياً في ميدان الدراسات اللسانية، تتصل بتعدد دلالة الكلمة وغموضها، فهي خاصة بمفردات اللغة خارج إطار السياق الذي ترد فيه، وهي تتصل مباشرة بوسائل النمو اللغوي الدلالي، لأنّ العلاقات بين المفردات تولّد دلالات متنوعة من خلال تقابلها وترابطها مع بعض.

1- مفهوم الترادف:

تعد ظاهرة "الترادف" في اللغة العربية من بين الظواهر اللغوية التي تضيف على العربية ميزة خاصة إلى جانب الظواهر اللغوية الأخرى، حيث تعدّ هذه الظاهرة وسيلة من الوسائل التي أغنت المعجم العربي، حتى أمسى العربي يستطيع التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ دون حدوث لبس في الفهم.

وقد اهتم اللّغويون القدامى بهذه الظاهرة وألّفوا فيها رسائل بيّنوا من خلالها معنى التّرادف وأسبابه وفوائده، كما وجد منهم من أنكر التّرادف وقال ببطلانه واستحالة وجوده في اللّغة العربيّة. فما مفهومهم لظاهرة التّرادف؟ وكيف تعاملوا معها؟ وما موقفهم منها؟.

1-1 الترادف لغة:

"التّرادف" لفظ مشتق من الفعل: رَدَفَ، أو المصدر: الرّدف، و" الرّدف: ما تبع الشيء. وكلّ شيء تبع شيئاً، فهو رَدْفُهُ، وإذا تتابع شيءٌ خلف شيء، فهو التّرادف. يقال: جاء القوم رُدافي أي بعضهم يتبع بعضاً". يتضح من هذا التعريف أنّ المعنى اللّغويّ للتّرادف ارتبط بالتتابع.

والتّرادف في "مختار الصحاح للرازي): "التتابع، وأردفه أي أركبه خلفه، وكلّ شيء تبع شيئاً فهو ردفه".

وقال "أحمد بن فارس": " الرّاء والدّال والفاء أصل واحد مطّرد، يدلّ على اتباع الشيء، فالترادف: التتابع والرديف الذي يرادفك".

1-2 الترادف اصطلاحاً:

أمّا التّرادف اصطلاحاً فإنّه أطلق مجازاً على عدّة استعمالات مجازيّة، أشهرها ما تواضع عليه علماء "فقه اللّغة" من إطلاقه على كلمتين أو أكثر تشترك في الدلالة على معنى واحد، لأنّ الكلمات قد تترادف على المعنى الواحد أو المسمى الواحد، كما يترادف الراكبان على الدابة الواحدة.

ولذلك فالعلاقة في هذا الاستعمال المجازيّ هي التّشابه، حيث شُبّهت الكلمتان في

ترادفهما وتتابعهما ودلالتهما على المعنى الواحد بالراكبين وترادفهما على الدّابة الواحدة.

إذن فالترادف اصطلاحاً هو اشتراك كلمتين أو أكثر في معنى واحد، وهذا ما نجد في

تعريف "السّيوطي" (ت911 هـ) الذي أفرد للتّرادف فصلاً خاصاً من كتابه (المزهر في علوم

اللّغة وأنواعها) سماه "معرفة المترادف"، وعزّفه بقوله " هو الألفاظ المفردة الدّالة على

شيء واحد باعتبار واحد قال: واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم فإنهما دالا على شيء واحد لكن باعتبارين: أحدهما على الذات والآخر على الصفة، والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر، وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول "...".

وهذا ما صرح به "الشريف الجرجاني" (ت816هـ) في كتابه (التعريفات) بقوله: " المترادف ما كان معناه واحدا وأسماءه كثيرة وهو ضد المشترك، أخذ من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه كالليث والأسد...".

وعرفه بتعريف آخر فقال: " الترادف: هو عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد".

أمّا "محمد بن القاسم الأنباري" (ت327هـ) فقد جعله أحد ضربي كلام العرب، وذلك بعد كلامه عن الأضداد والمشارك اللفظي، قائلاً: ".. وأكثر كلامهم يأتي على ضريين آخرين: أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين، كقولك: الرجل والمرأة، والجمل والناقة، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به. والضرب الآخر أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد، كقولك: البئر والحنطة، والغير والحمار، والذئب والسيد، وجلس وقعد، وذهب ومضى".

انطلاقاً من هذه التعريفات يمكننا القول: إنّ الترادف في مفهومه الاصطلاحي يراد به دلالة كلمتين أو أكثر على معنى واحد، و بعبارة أخرى اشتراك كلمتين مختلفتين أو أكثر في الدلالة على معنى واحد.

أمثلة حول الترادف:

- السَّكِين: يدعوها بذلك أهلُ مكة وغيرهم، وعند بعض الأزد يسمونها المديّة.
 - القمّح: لغة شاميّة، والحنطة لغة كوفيّة، وقيل البر لغة حجازيّة.
 - النّرجس، العربيّ: العَبْهر.
 - أعجمي: الياسمين، العربيّ: السمسّم.
 - أعجمي: المسك، العربيّ: المشموم.
 - المائدة: في الأصل لا يقال لها مائدة حتّى يكون عليها طعام وإلا فهي خوان.
 - الكأس: إذا كان فيها شراب وإلا فهي قدح.
 - الكوز: إذا كان له عروة وإلا فهو كوب.
 - الثرى إذا كان نديا وإلا فهو تراب.
- 2-التضاد:

يعدّ التّضاد من أهم الظواهر التي تحدّد طبيعة العلاقة بين الكلمات، وسنحدّد مفهوم هذه الظاهرة لغة واصطلاحًا.

1-2 مفهوم التضاد لغة:

جاء في " القاموس المحيط" للفيروز آبادي(ت 817 هـ) : "الضدّ بالكسر، والضدّيد: المثل، والمُخالفُ ضدّ، ويكون جمعا، وضدّه في الخصومة: غلبه، وعنه : صرّفه ومنعه برّفقٍ، بنو ضدّ، بالكسرة: قبيلة من عاد، وضادّه: خالفه، وهما متضادّان".

ونقل " ابن سيّده(ت 408 هـ): " الضدّ ضربا من الخلاف، وإن لم يكن كلّ الخلاف ضدا".

يرتبط المفهوم اللّغويّ للتّضاد بالخلاف.

2-2 أنواعه:

ولكي نوضح مفهوم التّضاد من النّاحية الاصطلاحية سنحدّد أنواعه، حيث ينقسم التّضاد إلى نوعين : نوع يجيء بلفظين مختلفين في معنيين متضادين، ونوع يجيء في لفظ واحد ليبدّل على الشيء وضده:

- التضاد باختلاف اللفظ : وهو النوع المعروف المألوف المستعمل كثيرا في اللّغات لسهولة مأخذه ومطابقتها الظواهر والأشياء التي غالبا ما تحوي في ذاتها معانٍ متعاكسة . "فالظلام "ضد" النور"، و"الشرّ" ضد "الخير"، و"الفرح" ضد "الحزن"، و"الجوع" ضد " الشبع" و"القبح "ضد" الحسن"، و"عصى "ضد" أطاع"، و"كره "ضد" أحب"، و"قام "ضد" جلس"، و"بعد"ضد" قرب"، و"حي "ضد" مات...الخ، إلى غير ذلك من الأزواج المركّبة من متباينين، إذا حضر أحدهما غاب الآخر بالضرورة.

ولا ريب في أنّ هذا النوع كثير في اللّغة، لأنّ وضعه أيسر، ومآتاه اختلاف لفظيه وتضادّهما في المعنى، بحيث لا يمكن اجتماعهما قط، للدلالة على شيء واحد في زمان واحد، فالتضاد في مثل : "الحرام" و"الحلال" كائن في احتمال الأمر للنقيضين. والنقيض أو المعاكسة ظاهرة وجودية كالحياة والموت، وخلقية نحو الصدق والكذب، ولغوية كفعل ولم يفعل ذائعة في كلّ المجتمعات البشرية، والشّروط الواحد في النقيضين نحو الإيجاب والسلب ألا يجمعهما بوجه واحد.

- التضاد باتّحاد اللفظ : هو نوع من المشترك ، فالكلمة الواحدة في العربية قد تؤدّي دلالات مختلفة نحو المشترك اللفظي، وقد تؤدّي معنيين متضادين " كالجلل " للعظيم واليهن اليسير، و"المسحور " للمملوء والفارغ و"الرهو " للارتفاع والانحدار.

3- مفهوم المشترك اللفظي:

ويعدّ من أهم الظواهر التي تحدّد طبيعة العلاقة بين الكلمات، وسنحدّد مفهوم هذه الظاهرة لغة واصطلاحًا.

3-1 مفهوم المشترك لغة:

"الشَّرْكَةُ والشَّرِكَةُ سواء، مخالطة الشَّرِيكين، يقال: اشترَكنا بمعنى تَشَارَكنا، وقد اشترك الرجلان، وتَشَارَكَا وشارِكَا أحدهما الآخر...، وشاركت فلاناً صرت شريكه، واشترَكنا وتَشَارَكنا في كذا، وشركته في البيع والميراث...، قال ورأيت فلاناً مُشْتَرِكاً، إذا كان يُحَدِّث نفسه أن رأيه مُشْتَرِكٌ ليس بواحد".

وفي الصَّحاح: "رأيت فلاناً مُشْتَرِكاً إذا كان يُحَدِّث نفسه كالمهموم...، وطريق مُشْتَرِكٌ يستوي فيه الناس، واسم مُشْتَرِكٌ تشترك فيه معان كثيرة، كالعين ونحوها فإنه يجمع معاني كثيرة".

"وقد اشْتَرَكَا وتَشَارَكَا وشارِكَا أحدهما الآخر، والاشْتِرَاكُ هنا بمعنى التَّشَارِكِ، ورجُلٌ مُشْتَرِكٌ: إذا كان يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّ رَأْيَهُ مُشْتَرِكٌ لَيْسَ بِوَاحِدٍ، وَطَرِيقٌ مُشْتَرِكٌ: يَسْتَوِي فِيهِ النَّاسُ. وَاسْمٌ مُشْتَرِكٌ: تَشْتَرِكُ فِيهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ وَنَحْوَهَا؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً. وَشَرِكُهُ فِي الْأَمْرِ يَشْرِكُهُ: دَخَلَ مَعَهُ فِيهِ وَأَشْرَكَهُ فِيهِ. وَأَشْرَكَ فُلَانًا فِي الْبَيْعِ: إِذَا أَدْخَلَهُ مَعَ نَفْسِهِ فِيهِ".

3-2 مفهوم المشترك اللفظي:

وضع للمشارك اللفظي حدودا شتى أهمها: قول "الزبيدي" في مقدمة "تاج العروس" إنه: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة".

وقال السرخسي: " وأما المشترك، فكل لفظ يشترك فيه معان، أو أسام، لا على سبيل الانتظام، بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المراد به على الانفراد. وإذا تعيّن الواحد مرادا به، انتفى الآخر. مثل اسم (العين) فإنه للناظر، ولعين الماء، وللشمس، وللميزان، وللنقد من المال، وللشيء المعين، لا على أن جميع ذلك مراد بمطلق اللفظ، ولكن على احتمال كون كل واحد مرادا بانفراده عند الإطلاق، وهذا لأن الاسم يتناول كل واحد من هذه الأشياء، باعتبار معنى، غير المعنى الآخر".

بينما يذهب "تاج الدين السبكي" إلى أنّه: "اللفظ الواحد، الدال على معنيين مختلفين، أو أكثر، دلالة على السواء، عند أهل تلك اللغة. سواء كانت الدالتان مستفادتين من الوضع الأول، أو من كثرة الاستعمال، أو كانت إحداها مستفادة من الوضع الأول، أو من كثرة الاستعمال. أو كانت إحداها مستفادة من الوضع، والأخرى من كثرة الاستعمال. ومن قولنا الواحد، احتراز عن الأسماء المتباينة والمترادفة، فإنه يتناول الماهية، وهي معنى واحد، وإن اختلفت محالها. وقولنا عند أهل تلك اللغة إلى آخره، إشارة إلى أن المشترك، قد يكون بين حقيقتين لغويتين، أو عرفيتين، أو عرفية ولغوية".